

النضال في المغرب واسلوب المفاوضة

ابتدأ الحديث بسؤال عن نظرتنا إلى السياسيين في تونس، الذين ساروا في
الحل المعروف... حل المفاوضة... التفاوض والتفاهم مع الاستعمار الفرنسي،
وهل نعتبرهم خونة أم مجرد مخالفين لنا في الرأي... .

لقد سأل الأخ عن مفهومنا للخيانة، وهل تنطبق هذه الصفة على أولئك
السياسيين في تونس؟.. وبالتالي هل عرفنا وجهة نظرهم كما عرفنا وجهة نظر
المعارضة؟..

لا أوافق على استعمال لفظة الخيانة، ولست أرى كبير نفع من التطرف في
هذه التسميات والالفاظ. ولكن الواجب ان نعين بالضبط، بالدقة، ودون اللجوء إلى
كلمات إنفعالية ماهي حقيقة السياسة التي انتهجها السياسيون المعروفون في
تونس.

انني أعتبر بأن في المغرب العربي إمكانيات نضالية هائلة، وهي موجودة في
الشعب العربي عامة، ولكن قد تكون متفوقة في الشعب العربي المغربي. ومن جهة
أخرى نعرف بأن الدولة الافرنسية في طريق الانهيار والانحطاط، وان الاستعمار عامة
في طريق الانهيار.

ونعرف من جهة ثالثة بأن أقطار الشرق العربي خطت رغم تلكؤ حكامها، رغم كل المآخذ التي نأخذها على الأوضاع فيها. . . ورغم كل شيء. . . خطت خطوات كبيرة في سبيل التحرر وخاصة في طريق الوحدة. . . التحسس بالوحدة وفائدتها وأصالتها، وبأنها واقعية وليست خيلاً ووهماً.

بالاستناد إلى هذه العناصر الثلاثة كان من واجب قادة النضال في تونس ان يتفاءلوا بالشعب اكثر مما فعلوا. . ان يتفاءلوا بالشعب العربي عامة، وبالشعب العربي في تونس بصورة خاصة. . بأنه سيتحمل نضالاً أطول وأقسى لأنه في كل خطوة يزداد خبرة وعزيمة ويزداد وعي الشعب في النضال، ويزداد شعوره بحقه في الحياة، وليس هنالك خوف على الشعب أن يتخاذل أمام القوة الغاشمة. اذن حُكْمنا عليهم أنهم ضعيفو التجاوب مع روح الشعب. لانقول أنهم يعرفون إمكانيات الشعب في النضال وتأمروا عليها، ولكننا نقول: لا يعرفون حقيقة الامكانيات الشعبية، ولذلك وقفوا في نصف الطريق، وهذا يعني الحكم بعدم جدارتهم بالقيادة.

فموضوع الخيانة في نظري موضوع ثانوي. وكما قلت: لا أستسيغ أنا شخصياً إلقاء هذه الألفاظ جزافاً، ولكنني أتوخى التحليل العلمي الواضح. فهل برهن هؤلاء القادة على ثقة بالشعب حقيقية، وبأنه قادر على الاستمرار في النضال؟. . وماذا وجدوا من الشعب ما ينبيء عن ضعفه وتعبه مادام الشعب في الجزائر قاسى أضعاف ما قاساه الشعب في تونس، ولزمن أطول بكثير؟. . ولكنه اليوم متفوق من حيث القوة والاستعداد للمقاومة، وفرض احترامه على الآخرين. . فكيف نصدق ان الشعب في تونس أضعف منه في الجزائر. ! اذن ألا يكون من حق الشعب العربي وهو الذي عانى تجارب كثيرة حتى اليوم أن يتساءل: هل وراء ذلك مصالح خاصة، ليس بالضرورة عند بورقيبة وأشخاص معدودين من مساعديه، ولكن عند طبقة معينة يستند إليها هؤلاء الزعماء وهي الطبقة التي تحرص على مصالحها الاقتصادية، ولا تستطيع أن تفرط بهذه المصالح من أجل قضية وطنية؟.

المأخذ على هؤلاء القادة أنهم اعتمدوا على طبقة ليست هي طبقة الشعب، ولا

تمثل حقيقة مصالحه. والملاحظ ان هذا النوع من السياسيين ضعيف الثقة بالتضامن العربي.. بالتعاون العربي.. ضعيف الثقة بالمساعدات الجدية التي يمكن ان تأتي من الأقطار المستقلة، لأنهم حاولوا وطلبوا ولم يجدوا تلبية؛ ولكن هم أنفسهم هؤلاء من نفس نوع الحكومات التي منعت عنهم المساعدة، لأنهم لو كانوا من طبقة الشعب لما يشوا، ولما حكموا على الأمة العربية من خلال طبقة متخلفة شائخة. الأمة العربية ليست هي نوري السعيد وحكومات سورية ولبنان.. انها أعمق بكثير وأغنى بكثير، ولكنها لم تمثل بعد التمثيل الصادق. أبناء الشعب الذين لا يعتمدون في نضالهم إلا على الشعب لا يأسون من الأمة عندما تتخاذل الحكومات. والشعب لا يكذب هذه الثقة وهذا التفاؤل، لأن كل يوم يأتي بجديد ومفاجأة لمصلحتنا، ويفصح عن إمكانيات لم تكن نتوقعها. وكأنهم - في الواقع - كانوا ينتظرون عذراً لكي يقطعوا هذه الصلة ليس بين تونس والشرق العربي فقط بل بين تونس والجزائر ومراكش، لأنهم رضوا أن يفصلوا أنفسهم عن الشعب. ونحن لم نكن بحاجة إلى وجهة نظر المعارضة التونسية ما دمنا جربنا هذه الاشياء هنا. صحيح اننا سمعنا رأي المعارضة، ولكننا كنا نعرفه قبل أن نسمعه لأنه هورأينا.

على كل حال، اني أعتقد بأن هذه الخطوة لن تكون هي الخطوة النهائية، وانها تجربة خاطئة سيصححها الشعب نفسه. لا أستطيع التنبؤ هل سيكون ذلك الآن أو بعد سنة أو أكثر، ولكني متيقن أن هذه السياسة - سياسة المساومة والاعتدال - قد فشلت دوماً وكانت من مصلحة المستعمر لامن مصلحة شعبنا.. ولقد أصبح عند الشعب العربي من الوعي والتجارب ما يكفل بأن يصححها باستئناف النضال وتوحيد النضال في المغرب وبين المغرب وبلاد الشرق العربي.

- القول بأنه في حالة وصول الجزائر ومراكش الى الوضع الذي وصلت إليه تونس، في هذه الحالة ماذا تكون الخطوات العملية لمتابعة النضال؟.. انني رغم ثقتي التامة بأن النضال في الجزائر لن يهدأ، وفي تونس أيضاً ومراكش، ولكن لفرض جدلاً بأنه وجدت هناك فئات دخلت في مفاوضة مع

الفرنسيين على وضع يكون أكثر قبولاً نسبياً من الوضع السابق ، ولكنه لا يحقق أماني الشعب ومطالبه ، واستطاعت هذه الفئات بالتعاون مع الفرنسيين ان تفرض هذا الحل فرضاً مؤقتاً . أعتقد بأن كل نظرة ايجابية إلى هذا النوع من التسوية ستسيء اساءة بالغة إلى القضية الوطنية . أي إذا سلمنا بجواز التعاون الحكومي بين الاقطار المغربية الثلاثة وبموافقة الشعب على هذا التعاون ، ليس لنا حيلة في أن نتعاون الحكومات ، ولكن الخوف والخطر هو ان ينظر الشعب انه لمصلحته مع انه لمصلحة الاستعمار . لم يعد أحد يجهل اليوم ما هي المصالح الفرنسية الكبيرة التي وجدت في المغرب . . وإلى أي حد تستعمل طبقة معينة من الفرنسيين هذه المصالح للاحتفاظ بمركزها وسلطتها . وليس لذلك إلا معنى واحداً هو الاستغلال الاقتصادي . . لم يعد هناك مكان في فرنسا للوطنية أو النفوذ الشعبي الفرنسي ، كل ذلك أصبح تديجياً . . الحقيقة أن هناك طبقة تستثمر أرض المغرب العربي و ثرواته ، وطبقة أخرى من الموظفين يعيشون أسياداً في المغرب العربي ، هؤلاء فقط يحرصون على بقاء سلطة فرنسا في المغرب ، هؤلاء يشتررون الصحف والنواب والوزراء وقادة الجيش الفرنسي . فإذا كل تعاون مع فرنسا يفترض حتماً التسليم لهذه الطبقة المعينة الفرنسية بالاستمرار في إستغلال ثروات المغرب ؛ فأية نهضة يمكن أن نتظر . . أي مستقبل؟؟ إستقلالات شكلية تكون قد أفرغت سلفاً من محتواها الايجابي الذي هو ثروة البلاد . وما دمننا نسمح للفرنسيين باستغلال هذه الثروات فليس هناك إستقلال حقيقي . وعلى كل حال ومهما تكن الاجتهادات فإن بقاء الشعب معارضاً لهذه الحلول و حذراً منها ، ومستعداً دوماً لمقاومتها هو الحل الصالح والسليم ، لأنه في أسوأ الاحتمالات يكون ضغطاً على الحكومات المحلية من جهة وعلى الاستعمار من جهة أخرى لكي يعتدلوا في إستثمارهم وجشعهم ، لكي يقفوا عند حد . لذلك لا أفهم خاصة من الشباب ، الشباب الواعي ، أن يستنكر وجود معارضة ، مع العلم بأن المعارضة في أسوأ الاحتمالات هي ضمانة لتخفيف الشر . ونحن نرجو أن تكون المعارضة وسيلة لاستثاف النضال و طرد الاستعمار ، وهي في أقل الدرجات ضمان لكي لا يرجع الاستعمار إلى راحته الأولى ويسترسل في جشعه

واستغلاله، لأنه يخشى دوماً من عودة النضال المسلح، ويحسب حساباً للشعب ولمصالح الشعب.

آذار ١٩٥٦